مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان[1]

الحمدُ لله مقدِّرِ المقدور ومصرِّفِ الأيام والشُّهورِ، أحمَدُه على جزيل نِعَمِهِ، وهو الغفورُ الشُّكور، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قدير، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله البشير النَّذير، والسراجُ المنير، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم البعث والنشور، أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، وتَفَكَّروا في سرعة مرور الأيام واللَّيالي، وتذكَّروا بذلك قُربَ انتقالِكم من هذه الدُّنيا، فتزوَّدوا بصالح الأعمالِ، حَلَّ بكم شهرُ رمضان المبارك بخيراتِهِ وبركاتِهِ، وعشتُم جميع أوقاته، ثُمَّ انتهى وارتحَلَ سريعًا شاهدًا عنده ربِّه لِمَن عَرَف قدره واستفادَ من خيرِهِ بالطَّاعة، وشاهدًا على مَن تجاهل فضله،وأساء فيه بالإضاعة، فليحاسب كلٌّ منَّا نفسَه ماذا قدَّم في هذا الشَّهر، فَمَن قدَّم فيه خيرًا فليحمَدِ الله على ذلك، وليسألهُ القبولَ والاستمرارَ على الطَّاعة في مستقبلِ حياته، ومَن كان مفرطًا فيه فليتُب إلى الله، وليبدأ حياة جديدة يستغلُّها بالطَّاعة، بدلَ الحياة الَّتي أضاعَها في الغفلة والإساءة، لعلَّ الله يُكَفِّرُ عنه ما مضى ويُوفِّقَهُ فيما بقي من عمره، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]، وقال النَّبي ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[2] وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٧٠].

عبادَ الله، إنَّ شهرَ رمضان كما وصفه رسول الله ﷺ: « شَهرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ»[3] ، وذلك لأنَّ النَّاس مع هذا الشَّهر لهم حالاتٌ مختلفة، فمنهم مَن وافاه هذا الشَّهر، وهو مستقيمٌ على الطَّاعة، محافظٌ على صلاة الجمع والجماعة، مبتعد عن المعاصي، ثُمَّ اجتهد في هذا الشَّهر بفعل

(١) مصدرها موقع الشيخ د. صالح الفوزان قسم الخطب.

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر الترمذي وأول: « اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ...» فذكره، وفي آخره: « وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سبق تخريجه.

الطَّاعات، فكان زيادة خير له، فهذا تناله رحمة الله؛ لأنَّه محسنٌ في عمله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ومنهم مَن وافاه هذا الشَّهر، فصام نهاره، وقام ما تَيسَّرَ من ليله، وهو قبل ذلك محافظٌ على أداء الفرائض، وكثيرٍ من الطَّاعات؛ لكن عنده ذنوبٌ دون الكبائر، فهذا تناله مغفرة الله، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال النَّبي ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»(٤).

ومنهم مَن وافاه شهر رمضان وعنده ذنوبٌ كبائر؛ لكنها دونَ الشِّركِ، وقد استوجبَ بها دخول النَّار، ثُمَّ تاب منها، وصام هذا الشَّهر، وقام ما تيسَّر منه، فهذا يناله الإعتاق من النَّار بعد ما استوجب دخولها.

ومنهم مَن وافاه الشَّهر، وهو مقيمٌ على المعاصي من فعل المحرمات، وترك الواجبات، وإضاعة الصَّلاة، فلم يتغيَّر حاله، ولم يَتُبْ إلى الله من سيئاته، أو تاب منها توبةً مُؤقَّتة في رمضان.

ولَمَّا انتهى عاد إليها، فهذا هو الخاسر الَّذي خسِرَ حياته. وضيَّع أوقاته، ولم يستفِدْ من هذا الشَّهر إلَّا الذُّنوب والآثام، وقد قال جبريل للنَّبيِّ عليهما الصَّلاة والسَّلام: «مَن أَدْرَكَ شَهْر رَمَضَان فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَدَخَلَ النَّار، فَأَبْعَدَه الله، قُلْ: آمِين؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: آمِين»(٥)، والمحروم مَن حرمَهُ الله، والشَّقيُّ من أبعدَه الله.

عبادَ الله، إنَّ عبادة الله واجبةٌ في كلِّ وقتٍ، وليس لها نهاية إلَّا بالموت قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ»(٦) الحديث، والموتُ قريب، ولله عباداتٌ تؤدَّى في مواقيتها يوميًّا وأسبوعيًّا وسنويًّا وهذه العبادات منها ما هو أركان الإسلام، ومنها مكملٌ له، فالصَّلواتُ الخمسُ تؤدَّى في كلِّ يوم وليلة، وهي الركن الثَّاني من أركان الإسلام بعد الشَّهادتين، وهي عمود الإسلام، والجمعة تؤدَّى كلّ أسبوع، وهي من أعظم شعائر الإسلام، يجتمع لها المسلمون في مكان واحدٍ اهتمامًا بها.

والزَّكاةُ قرينةُ الصَّلاة، وهي في غير المُعَشَّرات تؤدَّى كلّ سنة، وأمَّا المُعَشَّرات فتؤدَّى زكاتها عند الحصول عليها، وصيام شهر رمضان يجب في كلِّ سنة، وحجُّ بيت الله الحرام يجب على المسلم المستطيع في العمرة مرة، وكذا العمرة، وما زاد على المرة من الحج والعمرة فهو تطوع.

وإلى جانب هذا العبادات الواجبة، عبادات مستحبة، مثل: نوافل الصَّلوات، ونوافل الصَّدقات، ونوافل الصِّيام، ونوافل الحجِّ والعمرة، وهذا مما يدلُّ على أنَّ حياة المسلم كلّها عبادة إمَّا واجبة وإمَّا مستحبة، فالَّذي يظُنُّ أنَّ العبادة مطلوبة منه في شهر رمضان وبعده يُعفى من العبادة فقد ظَنَّ سُوءً وجَهِلَ حقَّ الله عليه، ولم يعرفْ دينه؛ بل لم يعرِفِ الله حقَّ معرفته، ولم يقدِرْهُ حقَّ قدره، حيث لم يطعمه إلَّا في رمضان، ولم يخف منه إلَّا في رمضان، ولم يرج ثوابه إلَّا في رمضان، إنَّ هذا الإنسان مقطوع الصِّلة بالله، مع أنَّه لا غنى له عنه طرفة عين، والعمل مهما كان إذا كان مقصورًا على شهر رمضان؛ فهو عمل مردود على صاحبه مهما أتعب نفسه فيه؛ لأنَّه عمل مبتور لا أصل له ولا فرع، وإنَّما ينتفع برمضان أهل الإيمان الَّذين هم على الاستقامة في كلِّ زمان، يعلمون أنَّ ربَّ الشُّهور واحد، وهو في كلِّ الشُّهور مطَّلع على أعمال عبادهِ وشاهدٌ.

ولقد بلغ الجهلُ ببعض المنتسبين إلى الإسلام أن اعتقد أنَّه إذا صلَّى الجمعة كَفَتْه عن العبادة في بقيَّة الأسبوع، فيضيع الصَّلوات الخمس، وبعضهم يعتقدُ أنَّ صيام رمضان والتَّعبُّد فيه يكفيه عن التَّعبُّدِ في بقيَّة السَّنة، فيترك الصَّلوات أحد عشرَ شهرًا، ويُصلِّي في شهر واحد، والبعض الآخر يعتقدُ أنَّه إذا

---

(٦) المراد بالثلاث هن: «صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» وقد سبق تخريجه.

حجَّ مرة في عمره كَفَّرَ الحجُّ عنه ما مضى وكفاه عن العمل في المستقبل، ورُبَّما يستدِلُّ خطأً على ذلك بما جاء في الحديث أنَّ هذه العبادات كفارات لما بينهن، ولو استكمل الحديث وتأمَّلَه لوجد أنَّ التَّكفير المذكور فيه مشروطٌ باجتناب الكبائر، والله تعالى يقول: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[النساء: ٣١]، وليس بعد الشِّرك أكبرُ من إضاعة الصَّلوات الخمس، وهؤلاء قد ضيَّعوها وضيَّعوا غيرها من أوامر الدِّين، ولا يُكفِّرُ ذلك عنهم إلَّا التَّوبة النَّصُوح، والعمل الصَّالح.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[مريم: ٥٩-٦٠]؛ فدلت الآية على أنَّ ترك الصَّلاة لا يكفَّرُ إلَّا بالتَّوبةِ، ويشترطُ لصحة التَّوبة ثلاثة شروط:

أحدها: تركُ الذُّنوب تركًا نهائيًا، أمَّا من تاب بلسانه، وهو مقيمٌ على الذُّنوب؛ فتوبتُه غير صحيحة ولا مقبولة.

والثَّاني: أن يندم على ما حصل منه من الذُّنوب، فإن لم يَنْدَمْ ويَخْجَلُ من الله على ما حصَل من المعاصي، فإنَّ توبته غير صحيحة.

والثَّالث: وهذا مُهِمٌّ جدًا، أن يَعزِمَ على أن لا يعودَ إلى المعاصي طول حياته إلى الممات، أمَّا من تاب من المعاصي في وقت محدَّدٍ كشهر رمضان، وفي نيته أن يعود عليها في وقت آخر، كبعد رمضان فتوبتُه غير مقبولة.

وشهر رمضان خير عون لِمَنْ يريدُ أن يتوبَ توبةً صحيحة؛ لأنَّه يستطيع فيه السَّيطرة على نفسه وهواه، ويستطيع فيها ترك مألوفاته وشهواته، ويستطيع فيه فعل الطَّاعات بسهولة، فهو يسهل فعل الطَّاعات، وينبه ذوي الغفلات، والمُوفَّقُ في هذا الشَّهر من استفاد من مروره عليه، فتعوَّد فعل الطَّاعات، والابتعاد عن المعاصي والمحرمات، وصار منطلقًا له في المستقبل في الاستمرار على ما اعتاده فيه من فعل الخير.

والمخذول من يعتبر شهر رمضان سجنًا ثقيلًا يستطيل أيامه، وينتظر نهايته لينطلق إلى العصيان، وطاعة النَّفس والشَّيطان.

فاتقوا الله، عباد الله، وأتبعوا شهر رمضان بالاستمرار على الطَّاعات أعوذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[آل عمران: ٢٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من البيان والذِّكر الحكيم، أقول قولي هذا: وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كلِّ ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه، إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، وتابعوا فعل الخيرات بعد رمضان، فإنَّ من علامةِ قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، وما شهرُ رمضان إلَّا منشِّطٌ على الخير، ومبدأ للتَّوبة، والعمل الصَّالح، ونهاية العمل تكون بالموت لا بخروج رمضان، وإن من علامة قبول التَّوبة والأعمال في رمضان أن يكون الإنسان بعد رمضان أحسن حالًا في الطَّاعة عمَّا قبل رمضان، ومن علامة الرَّدِّ والخذلان أن يكون الإنسان بعد رمضان أسوأ حالًا مما قبله.

فَتَنَبَّهوا لأنفسكم رحمكم الله، وانظروا حالكم بعد رمضان، واعلموا أنَّ باب التَّوبة مفتوح دائمًا في رمضان، وفي كلِّ زمان، ممن فاتته التَّوبة في رمضان فلا يقنطْ من رحمة الله؛ بل يبادر التَّوبة في أي: وقت كان، فإنَّ الله يتوب على من تاب، ويغفر الذُّنوب لمن رجع إليه وأناب، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[الزمر: ٥٣-٥٥].

حافظوا على ما كسبتم في رمضان من الحسنات، ولا تُفسدوه بالرجوع إلى المعاصي والسَّيئات، فتهدموا ما بنيتُم، وتبطلوا ما قدَّمتم، فإنَّ السَّيئات إذا كَثُرَت أهلكت الإنسان، ورجحت بحسناته في الميزان: ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾[الأعراف: ٩].

ثم اعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديِّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٦]، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثُمَّانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشِّرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدِّين، واجعل هذا البلد آمنًا مُطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين عامَّةً يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه، واردد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره، إنَّك على كلِّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ إنَّ أعداء الدِّين من الكفرة والمنافقين استطالوا على عبادك، وطغوا، وبغوا، وساموا عبادك المؤمنين سوء العذاب، شرَّدوهم من ديَّارهم، قتلوهم في بيوتهم، دمرَّوا اقتصادهم، كلُّ ذلك من الكيدِ للإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ وأنت العزيز الجبار المنتقم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ إنَّهم طغوا وبغوا،

وأنت على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ لا تسلطهم علينا بذنوبنا، اللَّهُمَّ اكفنا شرهم، اللَّهُمَّ أضعف قوتهم، اللَّهُمَّ فرق جماعتهم، اللَّهُمَّ شتت شملهم، اللَّهُمَّ خالف بين قلوبهم، اللَّهُمَّ سلط بعضهم على بعض، واكفنا شرهم، وكف عنَّا كيدهم، إنَّك على كلَّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وولاة أمور المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السوء والمفسدين، ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عبادَ الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

